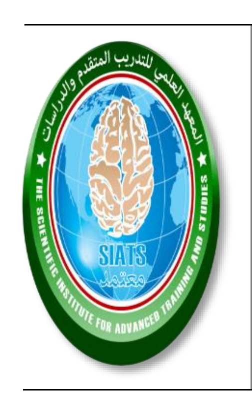


SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches (JISTSR)

jistsr.siats.co.uk \ Email: jistsr@siats.co.uk

WhatsApp: 0060178330229



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية
المجلد **6**، العدد 1، يناير 2020م
e-ISSN: 2289-9065

الهدايات القرآنية في الآية الربانية "فبما رحمة من الله لنت لهم"

THE QUR'ANIC GUIDING INSIGHTS IN THE DIVINE VERSE, "SO BY MERCY FROM ALLAH, [O MUHAMMAD], YOU WERE LENIENT WITH THEM."

د. حسين علي عبد الله الثلايا

haayth@gmail.com

كلية دار القرآن الكريم الجامعية – ترنجانو – ماليزيا

د. محمد فتحي محمد عبد الجليل

mfathy@unisza.edu.my

كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة (FKI) بجامعة السلطان زين العابدين (UniSZA) – ماليزيا

1441هـ / 2020م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/9/2019
Received in revised form110/2019
Accepted 30/12/2019
Available online 15/1/2020
Keywords:

Abstract

Because Muslims were drifted away from the divine way and the prophetic guidance, the Muslim community nowadays confronts a wave of moral behaviours which are not part of Islam by any means such as rudeness and harshness, particularly among the affiliates of the Islamic Movements and between the ruler and the ruled. Consequently, Muslims became apart and separated situation which has no precedence. Here lies the problem of research. By understanding this inclusive and verse which we are trying to explore its content and extract its meanings, we find that this verse contains Qur'anic insights and divine precepts which help the ruler and the citizens be in a condition of harmony, love and obedience. Here lies the importance of the research. This study aims to state the divine guidance in the way the ruler and the ruled, and the members of the Muslim nation should deal with each other. He followed the analytical methodology which analyzes the Qur'anic and Prophetic texts that clarify the relationship between the ruler and the ruled and among the members of the Muslim nation in general. I found some conclusions. Our religion of inclination to truth called us to mercy, kindness and leniency in treatment contrary to what many young Muslims understand nowadays. Rudeness and harshness cause people to shun avoid us while mercy and leniency cause us to win people's hearts and gain their amicability. This is the way of the Prophets (Peace be upon them). In addition, Shura is a significant principle in the critical issues of the Muslim Nation because as the principle of Shura was a commandment the Prophet Mohammed (Allah's Blessings and Peace be upon him) stuck to it, we should be more concerned about fulfilling it. A lot of the fatal mistakes that happened to Muslims were caused by the absence of the principle of Shura in Muslims' reality.

Keywords: mercy, leniency, harshness, Shura, trust.



الملخص

نظرا لابتعاد المسلمين عن المنهج الرباني والهدي النبوي فإن المجتمع المسلم في هذه الأيام يواجه موجة من الأخلاق التي لا تمت للإسلام بصلة كالفظاظة والغلظة لاسيما بين أبناء الحركات الإسلامية وبين الحاكم والمحكوم حتى صار المسلمون في حالة من التفرق والتمزق لم يسبق إليها وهنا تكمن مشكلة البحث، ومن خلال فهم هذه الآية الجامعة المانعة التي نغوص في أعماقها واستخراج معانيها نجد أن في هذه الآية المباركة من الهدايات القرآنية والتوجيهات الربانية والفوائد ما تجعل الوالي والرعية في حالة تآلف ومحبة وطاعة وهنا تظهر أهمية البحث، والذي يهدف إلى بيان الهدي الرباني في طريقة التعامل بين الراعي والرعية وبين إفراد الأمة المسلمة، متبعا في ذلك المنهج التحليلي والذي يقوم على تحليل النصوص القرآنية والنبوية التي تبين العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين الأمة عموما، وقد ظهر لنا من النتائج: أن ديننا الحنيف دعانا إلى الرحمة والعطف واللين في التعامل بعكس ما يفهمه كثير من شباب المسلمين اليوم، وأن الفظاظة وغلظ القلب سبب لنفور الناس، وأن الرحمة واللين سبب للوصول إلى قلوبهم وكسب ودهم، وهذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام، وأن الشورى مبدأ مهم في قضايا الأمة المصيرية لأنه إذا كان الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم، فنحن من باب أولى، وكثير من الأخطاء الكارثية التي حلت بالمسلمين اليوم سببها تغييب مبدأ الشورى عن واقع المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الرحمة، اللين، الغلظة، الشورى، التوكل.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأشهد أن إله إلا الله وحده لاشريك له، ولا ند له ولا كفء له ، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم ويولد، ولم يكن له كفوا أحد، سبحانه ربي لا مثيل له، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، السر عنده علانية، الحلال ما أحل، والحرام ما حرم، والدين ماشرع، فله الحمد والمنة، وأشهد أن محمدا عبدالله ورسوله، وخيرته من خلقه وخليله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله، أرسله الله رحمة للعالمين، فأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، ومحى به الظلمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، نسأل الله أن يجزيه عنا خير ما جازى نبيا عن أمته، ورضي الله عن أهل بيته، وصحابته والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ".

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً".

أما بعد فإن الله أنزل كتابه على نبيه صلى الله عليه وسلم هداية للناس ورحمة للعالمين، فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا، المنبع الصافي من تمسك به نجا، ومن تركه ضل وغوى، ونحن بهذا الصدد نحاول أن تناول من هذا البحر العميق، آية ننهل من عذبها الصافي، ونستفيد من فوائدها، ونستهدي بهداياتها، وهي قوله عز وجل: "فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"(1)، مبتدئين بعونه عز وجل بمعانيها.

التحديد المفاهيمي اللغوي



الرحمة لغة: (الرَّحْمَةُ) الرِّقَّةُ وَالتَّعَطُّفُ[2].

الرحمة اصلاحاً: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد يستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة[3].

لنت: (اللِّينُ) ضِدُّ الْخُشُونَةِ وَقَدْ (لَانَ) الشَّيْءُ (يَلِينُ لِينًا) وَشَيْءٌ (لَيِّنٌ) وَ (لَيْنٌ) مُخَفَّفٌ مِنْهُ[4]. واللَيْنُ: الرفق. ومعنى الكلام. فبرحمة من الله لنت لهم، أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثر احتمالك، ولم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أُحُدٍ.

فظا: الفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا. قال الشاعر في ابنة له:

أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ ... وكنت أخشى عليها من أذى الكلم[5]، وقيل: الفظ: الغليظ الجانب، السيء الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظة، فأنت فظ[6].

غليظ القلب: غَلِيظَ الْقَلْبِ قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف[7].

لانفضوا: لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لنفروا وتفرقوا عنك يقال: فضضتهم وانفضوا، أي فرقتهم فتفرقوا، قال أبو النجم يصف إبلا:

مستعجلات القبض غير جرد ... ينفض عنهنّ الحصى بالصّمد

وأصل الفض الكسر[8]

فاعف عنهم و**استغفر لهم**: فاعف عنهم أي: عن الشيء يكون منهم، واستغفر لهم من ذلك الذنب[9].

وشاورهم في الأمر: اطلب مشورتهم في الأمر ذي الأهمية؛ كمسائل الحرب والسلم.



فتوكل: أي اعتمد عليه في الوصول إلى غايتك، فإن الله- تعالى- يحب المعتمدين عليه، المفوضين أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب التي شرعها لهم لكي يصلوا إلى مطلوبهم[10].

المطلب الأول: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها

لما كانت الآيات السابقة تتحدث عن غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها من هم وغم وبلاء، حيث قتل فيها جمع من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وشجت رباعيته عليه الاسلام، بسبب مخالفة الرماة أوامر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وصل حالهم كما قال عزوجل "فأصابكم غما بغم"، وكان قبلها أن انشق ثلث الجيش، فكانت كلها أحداث مزلزلة جاء القرآن الكريم بهذه الآية بعد أن تحدث عن الموت والقتل، فجاء مذكرا للقائد الفذ صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف العصيب بالرحمة التي ألقاها الله عز وجل في قلبه، وما الذي ينبغي على القيادة الحكيمة فعله في مثل هذه الظروف، قال الصابوني رحمه الله تعالى: "لا تزال الآيات تتحدث عن غزوة أُحد، فقد ذكر تعالى فيما سبق انهزام المسلمين وما أصيبوا به من غمّ واضطراب، وأرشدهم إلى موطن الداء ووصف لهم الدواء، وفي هذه الآيات الكريمة اشادة بالقيادة الحكيمة، فمع مخالفة بعض الصحابة لأوامر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقد وسعهم عليه السلام بخلقه الكريم وقلبه الرحيم، ولم يخاطبهم بالغلظة والشدة وإنما خاطبهم باللطف واللين، وذلك اجتمعت القلوب حول دعوته، وتوحّدت تحت قيادته، والآيات تتحدث عن أخلاق النبوة، وعن المنّة العظمى ببعثة الرسول الرحيم والقائد الحكيم وعن بقية الأحداث الهامة في تلك الغزوة"[11]، وقال الطنطاوي رحمه الله تعالى: "فبسبب رحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت لينا مع أتباعك في كل أحوالك، ولكن بدون إفراط أو تفريط، فقد وقفت من أخطائهم التي وقعوا فيها في غزوة أحد موقف القائد الحكيم الملهم فلم



تعنفهم على ما وقع منهم وأنت تراهم قد استغرقهم الحزن والهم ... بل كنت لينا رفيقا معهم، وهكذا القائد الحكيم لا يكثر من لوم جنده على أخطائهم الماضية، لأن كثرة اللوم والتعنيف قد تولد اليأس، وإنما يلتفت إلى الماضي ليأخذ منه العبرة والعظة لحاضره ومستقبله ويغرس في نفوس الذين معه ما يحفز همتهم ويشحذ عزيمتهم ويجعلهم ينظرون إلى حاضرهم ومستقبلهم بثقة واطمئنان وبصيرة مستنيرة[12]، وكذلك بعد أن فرغ من وعظ الصحابة رضي الله عنهم في الآيات قبلها ذكر ما منَّ به عليهم من الصفات التي تدعوا إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم، قال البقاعي رحمه الله: "ولما فرغ من وعظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم أتبعه تحبيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما فعل بهم من الرفق واللين مع ما سبب الغضب الموجب للعنف والسطوة من اعتراض من اعترض على ما أشار به، ثم مخالفتهم لأمره في حفظ المركز والصبر والتقوى، ثم خذلانهم له وتقديم أنفسهم على نفسه الشريفة، ثم عدم العطف عليه وهو يدعوهم إليه ويأمر بإقبالهم عليه، ثم اتهام من اتهمه. إلى غير ذلك من الأمور التي توجب لرؤساء الجيوش وقادة الجنود اتهام أتباعهم وسوء الظن بهم الموجب للغضب والإيقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجراً لهم عن العود إلى مثله فقال تعالى: {فبما رحمة من الله} أي الذي له الكمال كله {لنت لهم} أي ما لنت لهم هذا اللين الخارق للعادة ورفقت بهم هذا الرفق بعدما فعلوا بك إلا بسبب رحمة عظيمة من **الله** الحائز لجميع الكمال، فقابلتهم بالجميل ولم تعنفهم بانهزامهم عنك بعد إذ خالفوا رأيك، وهم كانوا سبباً لاستخراجك[13]، وأما مناسبة الآية لما بعدها هو أنه عز وجل بعد أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم والتوكل عليه، التفت إليهم مخاطبا لهم "إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده" وهذا التفات، إذ هو خروج من الغيبة إلى الخطاب. ولما أمره بمشاورتهم وبالتوكل عليه، أوضح أن ما صدر من النصر أو الخذلان إنما هو راجع لما يشاء. وأنه متى نصركم



لا يمكن أن يغلبكم أحد، ومتى خذلكم فلا ناصر لكم فيما وقع لكم من النصر، أو بكم من الخذلان كيومي: بدر وأحد، فبمشيئته. وفي هذا تسلية لهم عما وقع لهم من الفرار[14].

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية في الآية

إن المتأمل في هذه الآية المباركة، ليرى بأن كل جملة في هذه فيها من الهدايات القرآنية والمعاني التفسيرية، والإرشادات الربانية ما يكفي لكتابة المجلدات الضخمة، وفيها من المعاني البلاغية والتعبير الرباني، والامتنان الإلهي ما يجعل العين تدمع، والقلب يخشع، ففي مطلعها الرحمة التي ذكر الله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم، ف"ما" في هذه الآية على الراجح بأنها للتوكيد، وأفادت الحصر، فوجود "ما" هنا أفادت بأن سبب لين النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه في ذلك الموقف العصيب إنما هي رحمة الله عز وجل، ولو كانت الآية "فبرحمة" أي من غير لفظ "ما" لاحتمل المعنى الرحمة وغيرها، ومن الهدايات القرآنية في الآية الكريمة ما يلي:

1. التنوين في كلمة رحمة هو للتعظيم، والتكثير، فهذا يعني بأن الرحمة التي كانت في قلب النبي صلى الله عليه وسلم كانت في غاية العظمة.

2. دلت هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الشجاعة والرحمة، ورزانة العقل وغاية الحكمة في مثل هذا الموقف العصيب، حيث كان تعامله صلى الله عليه وسلم جامعا بين الرحمة واللين وجمع الكلمة.

3. ينبغي على الداعية أن يكون رحيما بأتباعه متحليا بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم لكونه إمام الدعاة، قال تعالى: قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، ولكونه قدوة للمؤمنين قال تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة.



4. في قوله: (رحمة من الله): دلالة بأنه لولا رحمة الله عز وجل الواسعة لما لان النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وعاملهم في منتهى الرحمة في وقت حرج الذي لولا تلك الرحمة والحكمة لعاملهم في منتهى القسوة.

5. كان النبي صلى الله عليه وسلم وسطا في لينه من غير إفراط ولا تفريط ولذا جاء اللين في هذه الآية في مقام الامتنان، قال: فبسبب رحمة عظيمة فياضة منحك الله إياها يا محمد كنت لينا مع أتباعك في كل أحوالك، ولكن بدون إفراط أو تفريط، فقد وقفت من أخطائهم التي وقعوا فيها في غزوة أحد موقف القائد الحكيم الملهم فلم تعنفهم على ما وقع منهم وأنت تراهم قد استغرقهم الحزن والهم.. بل كنت لينا رفيقا معهم[15].

6. وهنا مسألة مهمة هل يكون اللين دائما في جميع المواضع، اللين يكون إذا لم يكن فيه تفريط في حق، وكذلك خاطب الله عز وجل في هذه الآية نبيه عليه الصلاة والسلام بالرحمة لأن المقام يتعلق بالمؤمنين وهنا يكون الجمع بين الآيات القرآنية. قال الرازي رحمه الله تعالى: هاهنا دقيقة أخرى وهي أنه تعالى منعه من الغلظة في هذه الآية، وأمره بالغلظة في قوله: واغلظ عليهم فههنا نهاه عن الغلظة على المؤمنين، وهناك أمره بالغلظة مع الكافرين، فهو كقوله: "أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين"[16] وقوله: "أشداء على الكفار رحماء بينهم"[17] وتحقيق القول فيه أن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان، والفضيلة في الوسط، فورود الأمر بالتغليظ تارة، وأخرى بالنهي عنه، إنما كان لأجل أن يتباعد عن الإفراط والتفريط، فيبقى على الوسط الذي هو الصراط المستقيم، فلهذا السر مدح الله الوسط فقال: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا"[18] [19] من أساليب القيادة الحكيمة عدم تعنيف الأتباع على أخطائهم الماضية، لأن كثرة اللوم يوغر القلب، ويولد اليأس، بل يبعث فيهم الأمل كي يفتح لهم آفاق المستقبل، ويغرس في نفوس الذين معه ما يحفز همتهم ويشحذ عزيمتهم ويجعلهم ينظرون إلى حاضرهم ومستقبلهم بثقة وإطمئنان وبصيرة مستنيرة[20].



7. الناس يألفون الشخص السهل الذي يألف ويؤلف؛ لأن عاقبة الشدة والفظاظة والغلظة نفور الناس وتفرقهم، يقول عبد الكريم يونس رحمه الله تعالى: وفى هذا كشف للطبيعة البشرية، وأن الناس إنما يألفون من يتألفهم، ويحسن إليهم، ويلقاهم بالصفح الجميل.. وعلى غير هذا من كان حادّ الطبع، شرس الخلق، غليظ القلب، لا يقيل عثرة، ولا يغفر زلة.. إنه لن يجد من الناس إلّا المقت والنفور[21].

8. أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وصل إلى أعلى درجات الكمال البشري، في تعامله مع أصحابه وأتباعه وكان كما قال الله عز وجل: "وإنك لعلى خلق عظيم" قال البغوي رحمه الله تعالى: "لنت لهم" أي: سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك، ولم تسرع إليهم بالغضب فيما كان منهم يوم أحد[22]، خاطب بها الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مثنيا فيها على أخلاقه السمحة ولينه منبها إلى أنه لو لم يكن كذلك ولو كان فظّا غليظ القلب لا نفض الناس من حوله، حاثّا إياه على الاستمرار في معاملتهم بالعفو والصفح والتألّف. وهي هذه فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ[23]، قال الحسن البصري: هذا خلق محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله به[24]، وقال الرازي رحمه الله تعالى: اعلم أن لينه صلى الله عليه وسلم مع القوم عبارة عن حسن خلقه مع القوم قال تعالى: "واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"[25] وقال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وقال: "وإنك لعلى خلق عظيم"[26] وقال: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم"[27] [28].

9. الشدة سبب للتفرق ونفور الناس، وهدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو اللطف واللين فإن المتأمل في الآيات القرآنية يجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في غاية اللطف في عرض الدعوة على قومهم، ينادونهم ياقومي، ومن أعظمها لطفا إبراهيم عليه السلام حين دعا أباه إلى عبادة الله عز وجل، فقد كان نداه له



بلفظ الأبوة في كثير من المواضع يقول يا أبت نداء فيه غاية اللين وغاية الأدب وغاية اللطف، ناداه بلفظ الأبوة ليكون أقرب إلى القلب، وتكون النفس أشد طواعية في قبول الحق.

10. أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أصحابه فيما بدر منهم ولكن الله عز وجل بدأ بذكر محامد النبي صلى الله عليه وسلم ليذكره بأخلاقه آمرا له بالحفاظ على منزلته التي عند ربه جل في علاه، قال الخطيب رحمه الله تعالى: وكان على النبيّ أيضا أن يصفح ويغفر.. فجاء أمر الله سبحانه وتعالى، يدعوه إلى الصفح ويغريه به، بعد أن يرى النبيّ الصورة الكريمة التي له عنده الله، والتي ينبغى أن يكون عليها، وأن يحتفظ بها على هذا الوضع العلوىّ الوضيء[29].

11. استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابة بعد العفو عنهم أبلغ في النفس فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن عفى عنهم عما بدر في حقه استغفر لهم الله عز وجل لما بدر منهم؛ لأن صاحب الذنب قد يكون عفا ولكن الله عز وجل لم يغفر له، وكذلك في نفس النبي صلى الله عليه وسلم أقوى فإنه لم يعف فقط بل طلب المغفرة من الله عز وجل، كما أنه يبعث الاطمئنان في نفس أصحابه ويشعرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة الأب لهم، والآية عبرت بالعفو ولم تعبر بكظم الغيظ قال الشعراوي رحمه الله تعالى: لأن العفو مَحْو الذنب محوا تاماً وهو يختلف عن كظم الغيظ؛ لأن كظم الغيظ يعني أن تكون المسألة موجودة في نفسك أيضا إلا أنك لا تعاقب عليها؛ لأنك كففت جوارحك وصنت لسانك، أما المسألة فما زالت في نفسك، لكن العفو هو أن تمحو المسألة كلها نهائيا، وتأكيدا لذلك العفو فأنت قد تقول: أنا من ناحيتي عفوت[30].

12. الشورى من أخلاق العقلاء والصالحين، أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بها، وترشد الآية إلى أشياء منها أن الأمر بمشاورتهم لا لأجل أنه صلى الله عليه وسلم محتاج إليهم، ولكن لأجل أنه إذا شاورهم



في الأمر اجتهد كل واحد منهم في استخراج الوجه الأصلح في تلك الواقعة فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه فيها، وتطابق الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله. وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات، وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد[31]، ومنها أن رأي الجماعة عن الخطأ أبعد من رأي الواحد، وهنا مسألة ينبغي التنبه إليها وهو أن المشاورة تكون في ما لا دليل فيه، أما ما ورد فيه الدليل فليس أمامنا إلا التسليم، قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره[32].

13. المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو أكمل الناس عقلا وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا[33].

14. من رحمة الله تعالى بالمؤمنين أنه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعفوا عنهم في الحال وهذا من عظيم رحمته بعباده المؤمنين، حيث جاءت كلمة العفو مقرونة بالفاء والذي يفيد الترتيب والتعقيب، قال الرازي رحمه الله تعالى: ظاهر الأمر للوجوب، والفاء في قوله تعالى: فاعف عنهم يدل على التعقيب، فهذا يدل على أنه تعالى أوجب عليه أن يعفو عنهم في الحال، وهذا يدل على كمال الرحمة الإلهية حيث عفا هو عنهم، ثم أوجب على رسوله أن يعفو في الحال عنهم[34].

15. تشير الآية القرآنية إلى أن القائد عليه أن يكون لينا، وأن يعفوا ويستغفر ويشاور، فليس دخول معركة يترتب عليه ما يترتب أمرا سهلا، خاصة وأن الكافرين والمنافقين سيثيرون زوابع. فلا بد أن يكون الصف الإيماني على غاية من الوعي والتلاحم، وذلك لن يتم إلا إذا كان على رأس الأمر قائد هذه صفاته[35],



تشير الآية إلى أن الله عز وجل يغفر الكبيرة فإن مخالفة الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ليس بالأمر الهين، ولكن الله عز وجل أمر رسوله بالاستغفار لهم.

16. قال بعض العلماء بأن معنى قوله عز وجل "وشاورهم في الأمر"، المقصود به الحرب، وقال البعض بل كل أمر يصح فيه الاجتهاد، والثاني أولى لحمل الكلام على العموم.

17. قوله عز وجل: "فإذا عزمت فتوكل" هنا يفيد بأن المسلمين والمؤمنين إذا تشاوروا على شيء فليبادروا وقد جاءت الآية "فتوكل" مقرونة بالفاء التي تفيد السرعة.

19. ثم ختم الآية بقوله إن الله يحب المتوكلين كان المشايخ يقولون وجود الجملة المؤكدة في نهاية الآية يفيد التعليل، لماذا أمركم الله عز وجل بالتوكل؟ لأن الله يحب المتوكلين .

ويستفاد منها بأن الإنسان إذا كان عازما في فعل الخير فليبادر، فخير البر عاجله، وهذا الشيء يحب الله ويرضاه.

ملاحظة: الهدايات القرآنية في هذه الآية تكفي بحثا كاملا، ونظر لضيق المقام نحاول ذكر ما تيسر.

المطلب الثالث: سبل تحقيق هدايات الآية في واقع الأمة

أولا: الرحمة في قلوب الدعاة والمصلحين بالأمة لا سيما العصاة منهم فإن هذا مما يحبب الناس إلى دين الله عز وجل، وهو طريق الرسل، فينبغي على الداعية أن يكون لينا رحيما مقتديا بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، فإننا نفور كثير من الناس في واقعنا المعاش، وحبا لكل داعية رحيم لين.

ثانيا: الشدة سبب لنفور الناس، ولا تستطيع الناس الاجتماع حول من يحمل الشدة ، ولذا قال تعالى في وصف نبيه عليه الصلاة، والسلام: "لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"[36]،



عن عائشة ، قالت : استأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليكم ، فقالت عائشة : بل عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله قالت : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : قد قلت وعليكم(37).

ثالثا: العفو والصفح صفات الكرام، وأخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذا قال تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام: "قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"(38)، ولذا يجد الناس الرجل صاحب العفو والأخلاق الرفيعة محبوبا، ولذا قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ".

رابعا: الشورى مبدأ عظيم في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: "وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"، ووصف المؤمنين بقوله "وأمرهم شورى بينهم"، وحين ينظر الإنسان العمل في ماليزيا في كثير من المجالات يعقدون له المشاورات واللقاءات لا سيما بين أهل الاختصاص، وهذا سبب لهم نجاحا كبيرا في شتى مجالات حياتهم.

خامسا: التوكل على الله عز وجل إذا عزم في أمره بعد الاستشارة، والمبادرة والمسارعة لا سيما في أعمال الخيرات، فإن الإنسان إذا تأخر قد يتكاسل ويترك ما عزم عليه، ولذا خير البر عاجله.

سادسا: طاعة أوامر النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب النصر، ومعصيته من أسباب الهزيمة، والنبي صلى عليه وسلم قد أفضى إلى ربه عز وجل، ولكنه ترك السنة بين أيدينا، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فامتثال أوامره سبب للنصر، والابتعاد عنها سبب للهلاك والهزيمة والخذلان، وهذا ما ابتلي به المسلمون اليوم، فلا عزة لنا ولا نصر ولا تمكين، إلا بطاعة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.



الخاتمة

وفي الختام أشكر الله تعالى أن أعانني على هذا الجهد المتواضع والذي تكلم حول موضوع الهدايات القرآنية في هذه الآية الربانية، والتي يمكن أن تكون كل جملة منها رسالة علمية مستقلة، ففيها من الإرشادات والأوامر الربانية ما يصلح به أحوال المسلمين في دينهم ودنياهم لو التزموها، تناولت فيه موضوع الرحمة واللين، وعاقبة الفظاظة وغلظ والقلب، والشورى وغيره، وقد توصل الباحث إلى بعض النتائج أهمها ما يلي:

1. أن ديننا الحنيف دعانا إلى الرحمة والعطف واللين في التعامل بعكس ما يفهمه كثير من شباب المسلمين اليوم.

2. الفظاظة وغلظ القلب سبب لنفور الناس، والرحمة واللين سبب للوصول إلى قلوبهم وكسب ودهم، وهذا شأن الأنبياء عليهم السلام.

3. الشورى مبدأ مهم في قضايا الأمة المصيرية لأن الأمر كان للنبي صلى الله عليه وسلم، ونحن من باب أولى، وكثير من الأخطاء الكارثية التي حلت بالمسلمين اليوم سببها تغييب مبدأ الشورى عن واقع المسلمين.

الهوامش

---

(1) سورة آل عمران: 159.

(2) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (1420هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3. 120/1.

(3) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (د. ت). تاج العروس من جواهر القاموس. القاهرة: دار الهداية. 10/33

(4) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، 228/1.

(5) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.

383/3

(6) القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين. (1416هـ). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. بيروت: دار الكتب العلمية. 512/1



(7) القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المرجع السابق، 293/2.

(8) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 190/3

(9) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1994م) الوسيط في تفسير القرآن المجيد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 5. 512/1.

(10) طنطاوي، محمد سيد. (1997م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر. 319/2.

(11) الصابوني، محمد علي. (1997م). صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني. 219/1

(12) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مرجع سابق، 316/2.

(13) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د. ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. 106/5_ 107

(14) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، 410/3.

(15) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريمن مرجع سابق، 31/2.

(16) سورة المائدة: 54

(17) سورة الفتح: 29

(18) سورة البقرة: 143

(19) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، 408/9.

(20) الرازي، مفاتيح الغيب، المرجع السابق، الموضع نفسه.

(21) الخطيب، عبد الكريم يونس. (د. ت). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي. 627/2.

(22) الزيد، عبد الله بن أحمد بن علي. (1416هـ). مختصر تفسير البغوي. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع. 154/1.

(23) عزت، دروزة محمد. (1383هـ). التفسير الحديث. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. 196/3.

(24) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999م). تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: 2. 148/2

(25) سورة الشعراء: 215

(26) سورة القلم: 4

(27) سورة التوبة: 128

(28) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، 405/9.



(29) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مرجع سابق، 631/2.

(30) الشعراوي، محمد متولي. (1997م). تفسير الشعراوي أو الخواطر. القاهرة: مطابع أخبار اليوم. 1839/3

(31) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (1418هـ). محاسن التأويل. بيروت: دار الكتب العلمية. 447/2.

(32) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الرياض: مؤسسة الرسالة. 154/1

(33) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، الموضع نفسه.

(34) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، 408/9.

(35) حوى، سعيد. (1424هـ). الأساس في التفسير. القاهرة: دار السلام. ط: 6. 913/2

(36) سورة التوبة: 128 – 129

(37) مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1334هـ). صحيح مسلم. بيروت: دار الجيل. 4/7 ح: 5707.

(38) سورة يوسف: 92

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د. ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

حوى، سعيد. (1424هـ). الأساس في التفسير. القاهرة: دار السلام. ط: 6.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.

الخطيب، عبد الكريم يونس. (د. ت). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (1420هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3.



الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (د. ت). تاج العروس من جواهر القاموس. القاهرة: دار الهداية.

الزيد، عبد الله بن أحمد بن علي. (1416هـ). مختصر تفسير البغوي. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (1420هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الرياض: مؤسسة الرسالة.

الشعراوي، محمد متولي. (1997م). تفسير الشعراوي أو الخواطر. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الصابوني، محمد علي. (1997م). صفوة التفاسير. القاهرة: دار الصابوني.

طنطاوي، محمد سيد. (1997م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر.

عزت، دروزة محمد. (1383هـ). التفسير الحديث. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق. (1418هـ). محاسن التأويل. بيروت: دار الكتب العلمية.

القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين. (1416هـ). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999م). تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط: 2.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1334هـ). صحيح مسلم. بيروت: دار الجيل.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. (1994م) الوسيط في تفسير القرآن المجيد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 5.

